

أوراق 7 فلسطينية

الأطباء العرب في إسرائيل رؤية من الداخل

أسامة طنّوس

تشرين الثاني 2020

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية



أوراق فلسطينية 7

أيلول 2020

الأطباء العرب في إسرائيل - رؤية من الداخل

أسامة طنّوس

طبيب أطفال متخصص في حيفا، وهو يتابع حاليًا العمل على نيل درجة الماجستير في علوم الصحة العامة. يعمل د. طنّوس باحثًا لصالح "جمعية الجليل" (الجمعية القطريّة العربيّة للبحوث والخدمات الصحيّة). وهو كذلك محلّ في مركز أبحاث "شبكة السياسات الفلسطينية"، وزميل في برنامج فولباريت هوبرت همفري للعام 2020 في سياسات الصحة والصحة العامة. وتشمل اهتماماته البحثيّة العنف البنيويّ والفروق الصحيّة.

المحرر المسؤول: مهند مصطفى

تدقيق: حنا نور الحاج

مسؤولة الانتاج: إيناس خطيب

العنوان: همغينيم 90 حيفا

البريد الإلكتروني: mada@mada-research.org

رقم الهاتف: 04-8552035

أوراق
فلسطينية

يستعرض هذا المقال، من منظور طبيب فلسطيني، أشكال تمثيل الأطباء الفلسطينيين في الجهاز الصحي الإسرائيلي خلال جائحة "كوفيد-19"، إلى جانب الديناميات التي ظهرت في هذا الجهاز إبان حالة الطوارئ الصحية العامة. ويجادل المقال بأن جهاز الرعاية الصحية، وهو ركيزة مهمة من ركائز المشروع الاستعماري الاستيطاني، وبناءه التحتية، يجري تهيئته بسداجة بوصفه مجالاً محايداً وغير سياسي. وفي الوقت الذي احتُفي فيه بميدان محاربة كوفيد - 19 بوصفه ميدان تآخي الفلسطينيين من حملة الجنسيات الإسرائيلية مع أقرانهم من اليهود، وحُيِّل كإجابة لتحقيق مكاسب سياسية أو مساواة للمواطنين الفلسطينيين في إسرائيل، فقد ظلَّ العمل جارياً على تطبيع كلِّ من العسكر بتاريا الاستيطانية، ورموز الاستيطان، وسيطرة المستوطنين.

في أواخر نيسان المنصرم (2020)، في إطار الاحتفالات بيوم الاستقلال الثاني والسبعين لإسرائيل، اخترقت طائرات مقاتلة تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي زرقة السماء. أدت هذه المقاتلات مناورات أكراباتية في الجو تحية للطواقم الطبي الذي يحارب كوفيد-19 في ظلَّ حالة الطوارئ الصحية العامة.¹ عبر تلك المناورة، تمَّنَى سلاح الجو الإسرائيلي لـ "جميع [أبناء] شعب إسرائيل" السعادة ويوم استقلال سعيداً،² بينما لم يوضع المركز الطبي للجليل الغربي، الذي يديره د. مسعد برهوم (أول فلسطيني يُعيَّن مديراً لمشفى إسرائيلي) على خط السير الأوَّلي لطيران المقاتلات في استعراضها. وهكذا، أرسل برهوم رسالة غاضبة موجهة إلى قائد سلاح الجو، معبراً فيها عن شعوره بالحيرة لغياب مركز الجليل الغربي عن مسار خط الطيران، وبأنَّ هذا الغياب قد مثل ازدراءً قاسياً لطواقم المستشفى الذي يشكّل ضرباً من "الفسيفساء الدينية والثقافية الجميلة"،³ على حدَّ تعبير الرسالة، من اليهود والمسلمين والدروز والمسيحيين. وقد وصف برهوم في رسالته التعاون بين كلِّ من المركز الطبي والجيش الإسرائيلي معتبراً إياه تعاوناً مذهلاً، حيث استذكر برهوم كيف خدم المركز، بإخلاص، احتياجات الجيش في الأيام العادية وفي حالات الطوارئ، مستشهداً بأمثلة حديثة مستفاهة من عملية درع الشمال، ومعالجة المشفى العسكريين السوريين الجرحى البالغ عددهم ثلاثة آلاف ممن أحضروا إلى إسرائيل ليتلقوا العلاج في إطار السياسة التي تطلق عليها تل أبيب اسم "عملية حسن الجوار".⁴ ختاماً، أنهى برهوم رسالته بالقول إنَّه قد اكتوى من سلوك سلاح الجو الإسرائيلي، وأعرب عن أمله في تعديل الغبن الحاصل.⁵

خلال جائحة كوفيد-19 في إسرائيل التي تُشنَّ فيها حرب مجازية على الفيروس، تدور معركة حقيقية في ميدان آخر، هو ميدان الاستعمار الاستيطاني، وحدود هذه الحرب تُرسم من خلال عملية الضمّ الوشيك للارض. تقودنا هذه الملاحظة إلى طرح التساؤل التالي: ما الذي يحصل للطبيب المتحدّر من المجموعة السكانية الأصلية حينما يجد نفسه، وقد أجبره مفهوم الحرب على استرجاع ذكريات مؤثرة من عمليات العدوان على غزة والضفة الغربية ولبنان، ما الذي يحصل له حينما يجد نفسه عالقاً في توصيف "أخوة السلاح"، مع طبيب ينتمي إلى المجموعة العرقية المهيمنة، وهو الذي لا تُعدّ الحرب بالنسبة إليه مجرد استعارة، بل إنَّها ممارسة يومية تتسق اتساقاً وثيقاً مع حياته، إذ إنَّ مسيرته المهنية تتعرّج بين الإعدادات المدنية والعسكرية نظراً للخدمة العسكرية الإلزامية النظامية والاحتياطية؟⁶ ألا تُدركنا هذه "الزمالة" بين المستوطنين والأصليين،

1. i24NEWS. (2020, April 29). Israel dedicates Independence Day flyover to nation's hospitals. [i24NEWS](#).

2. بموجب القانون الإسرائيلي، يُميّز بين المصطلحين "مواطني إسرائيل" و "شعب إسرائيل". فالاصطلاح الأخير يُستخدم فقط للإشارة إلى السكان اليهود الذين يعيشون داخل إسرائيل، وأحياناً يشمل هؤلاء واليهود الذين خارج إسرائيل. وهذا يعكس التوترات والتناقضات في تعريف إسرائيل لنفسها دولة يهودية ديمقراطية لا بوصفها دولة مواطنتها. للاستزادة في هذا الشأن، راجعوا:

Bishara, Azmi. (2017). Zionism and equal citizenship: Essential and incidental citizenship in the Jewish state. In Nadim N. Rouhana, and Sahar, S. Huneidi. (Eds.). **Israel and its Palestinian citizens: Ethnic privileges in the Jewish state** (pp. 137-156). Cambridge: Cambridge University Press.

3. شطّين، أفرايم. (2020، 27 نيسان). نهاريًا تطالب بتحية جوية لمقاتلي الكورونا. [مركز هغنيانيم](#). (بالعبرية).

4. المصدر السابق.

5. في وقت لاحق، استجاب سلاح الجو الإسرائيلي للتظلم، وفي الساعة 12:35 من مساء ال 29 من نيسان (2020)، حلقت أربع طائرات من طراز T-6 تيكسان فوق المستشفى وأماكن أخرى، ورسمت قلوباً في السماء، في الوقت الذي لُوَّح فيه طاقم المستشفى بالأعلام الإسرائيلية.

6. Jeffay, Nathan. (2020, April 27). Video saluting Israel's Arab medical professionals during crisis goes viral. [Times of Israel](#).

الزماله التي تستلزم الاحتفاء بهويّة واحدة في ظلّ حضور حذرٍ للآخر، بكلمات هدرت ماركيز التي تلخّص مثل هذا النوع من المواقف بوصفها "قمعًا عقليًا للفردانيّة في مكثنة (mechanization) العروض التي تُعدّ ضروريّة اجتماعيًا، لكنّها مؤلمة"⁷؟

التساؤل الآخر الذي يطرح نفسه هنا هو: ما الذي يحصل حينما يُقحم بالنظام الصحيّ بأكمله -وهو مسرح هذه الزماله غير المتكافئة- إلى اختبار من الجهد المكثّف بفعل الجائحة؟

يبحث هذا المقال في مغازي الاحتفاء بالأطباء الفلسطينيين في نظام الرعاية الصحيّة الإسرائيليّة، وكذلك في عمليّة تحويلهم من مجرّد موظّفين وساعين للحصول على عمل إلى سفراء و "إخوة سلاح" في معركة مواجهة الوباء. أعتد في مقالي هذا التعبيرين "إخوة" و "أخوة"، لكي أعكس تصوير وسائل الإعلام الإسرائيليّة والدوليّة المتكرّر لما يرد أن يُظهِر وكأنّه زماله طبيّة فلسطينيّة وإسرائيليّة أو -على نحو ما صوّرت- عربيّة يهوديّة، إبان الجائحة. كذلك أقوم بهذا بغية تسليط الضوء على "الأخوة" في السلاح السائدة على نطاق واسع في الحروب وميادين القتال. ترتبط هذه المفاهيم، في سياقاتها الاستعماريّة، بآمال (مضلّلة في الغالب) حول المساواة الموعودة الوشيكة، تجاه الرعايا الذين يعانون من انعدام المساواة. في مثالنا هذا، وجب أن نستذكر مثاليّ الجنود الأفارقة العائدين من ميادين القتال في الحرب العالميّة الثانية، بعد أدائهم الخدمة العسكريّة في الجيش الفرنسيّ، والجنود السود العائدين إلى الولايات المتّحدة بعد أدائهم الخدمة العسكريّة في فيتنام.⁸

استيعاب الأطلانيّ واستبعاده

شكّل نظام الرعاية الصحيّة الإسرائيليّ، بما يشمله من مَشافٍ وصناديق تأمين صحيّ (وهو ما يطّاق عليه بالعبريّة الاسم "كويات حوليم") تدير المشافي والعيادات، كما هو حال أنظمة الرعاية الصحيّة في السياقات الاستعماريّة الأخرى، شكّل ركيزةً أساسيّة لرؤية الصهيونيّة بشأن "بناء أمة تتمتع بالصحة"⁹... [بوصفها] هدفًا بحدّ ذاته... [وأيضًا بوصفها] شرطًا مسبقًا لإنجاز مهمّة بناء 'وطن اليهود القومي'¹⁰. وقد توسّعت هذه الشبكة الصحيّة على نحوٍ بالغ بالتوافق مع المشروع الاستيطانيّ، وما زالت تواصل التوسّع اليوم كذلك مع افتتاح كليّة طبيّة في مستوطنة "أريئيل" شماليّ الضفة الغربيّة.

هذا التوسّع، وكما يبدو في خطاب افتتاح الكليّة المذكورة، الذي ألقته سيّدة الأعمال الأميركيّة، ميريام إديلسون، واضح تجاه العنصريّة التي يرسّخها، وفي الوقت ذاته يشيخ بنظره عنها. وحسبما أعلنت إديلسون في الـ 27 من تشرين الأوّل عام 2019، فإنّ "هذه المؤسّسة الواقعة في قلب السامرة [الاسم التوراتيّ لمنطقة شماليّ الضفة الغربيّة -المتّرجم] تجمع الكثير ممّا هو عزيز على قلوبنا: الطبّ، الصهيونيّة، العلم، التوراة، الكبرياء اليهوديّ، والأطباء من اليهود وغير اليهود، إلى جانب حبّنا لوطننا وللبنشريّة"¹¹.

كان خطاب إديلسون واضحًا، سواء في عدم قدرته على التمييز بين كلّ من "حبّ الوطن" و "حبّ توسيع المستوطنات" التي يُحظر على غير اليهود السكن فيها، تلك التي تُبنى على حساب الأراضي المحتلّة بشكل غير قانونيّ، أو عدم رغبته في التمييز بين هذا الحبّ وذاك. بهذا المعنى، كان خطاب إديلسون واضحًا بشأن الحاجة

7. Marcuse, Herbert. (2007). **One-Dimensional man: Studies in the ideology of advanced industrial society** (2nd ed). New York: Routledge Press. P. 3.

8. ثمة مراجع أخرى بشأن هذا الموضوع، تجدونها في الإحالة المرجعيّة 39 في هذا المقال.

9. Comaroff, Jean. (1993). The diseased heart of Africa: Medicine, colonialism, and the black body. In Shirley, Lindenbaum, and Margaret, Lock. (Eds.). **Knowledge, power, and practice: The anthropology of medicine and everyday life** (pp. 305-329). Berkley: University of California Press. -Warwick, Anderson. (2007). The colonial medicine of settler states: Comparing histories of indigenous health. **Health**, 9(2). Pp. 144-154.

10. Hirsch, Dafna. (2009). We are here to bring the west, not only to ourselves: Zionist Occidentalism and the discourse of hygiene in mandate Palestine. **International Journal of Middle East Studies**, 41 (4). P. 581.

11. Israel, David. (2019, October 28). After years of struggle, Ariel university's Medical school begins teaching new doctors. **Jewish Press**.

إلى تجبير الخطاب الطبّي من أجل تعزيز وشَرَعنة المشروع الاستيطاني.¹² ويبدو أنّ إيدلسون لا ترى أيّ تناقض بين مثل هذا المشروع وحبّ البشريّة، إلّا إذا كانت تنظر إلى الفلسطينيين، الذين سُلبت أرضهم لغرض بناء المستوطنة، بوصفهم خارجين على تعريف "الجماعة البشريّة".

في هذا المشروع الصهيونيّ الذي يتيه فخراً، لا يستدعي الطبيب الفلسطينيّ الحذر، ولا يُنظر إليه بوصفه يمثّل تهديداً، أو يُنظر إليه على أنه -إلى حدّ ما- "غير ملائم"؛ إذ لا يُنظر إلى مثل هذا الشخص إلّا بوصفه طبيياً غير يهوديّ ينبغي ضمّه إلى مجموعة المقتنيات. إنّه، بهذا المنظور، ليس سوى "باشكاتب" أصلايّ على أفضل تقدير.¹³

تعكس مكانة الفلسطينيين في نظام الرعاية الصحيّة الإسرائيليّ، كأطباء أو كمرضى، مكانتهم في الدولة ككلّ، أي بوصفهم أقلّيّة تشكّلت نسيئاً في وقت ليس بعيد. هؤلاء، بوصفهم مجموعة مهزومة ظاهرياً (من وجهة نظر الدولة المستعمرة)، مجموعة تمكّنت من البقاء على أرضها بعد نكبة العام 1948، لم يكن لديهم -حين انضموا إلى الكيان السياسيّ الجديد المنتصر- رأي في الأمر؛ إذ إنهم قد استفاقوا ليجدوا أنفسهم مسجّلين كمواطنين في دولة يُفترض أنّها دولة يهوديّة ديمقراطيّة.¹⁴ يشكّل الفلسطينيون من بين حَملة الجنسيّة الإسرائيليّة الآن 21 في المئة من تعداد سگان إسرائيل.¹⁵ كذلك إنّ نسبتهم من الأطباء تشكّل 17 في المئة¹⁶ هؤلاء لا يمثّلون سوى بقايا غير مستحبة من الماضي، بقايا تُستوعب في مشروع استيطانيّ استعماريّ مستمرّ ومتوسّع، مشروع يستبعد غير اليهود من الجماعة الكلّيّة (الكولكتيف)، ويعتبرهم تفصيلاً هامشيّاً، مجرد حاشية، أمراً يمكن دمجها في المشروع الصهيونيّ الأكبر من دون أن يتسبّب في زعزعة الأسس البديهيّة لهذا المشروع.

من الناحية العمليّة، لم توفّر الجنسيّة الإسرائيليّة (المفروضة قسراً على الفلسطينيين داخل إسرائيل)¹⁷ من خيارات سوى الانصياع والعمل لاحقاً في جهاز الرعاية الصحيّ الإسرائيليّ. لقد قدّمت المنظومة لهؤلاء في البداية خدمات الرعاية الصحيّة (كالدخول إلى المشافي وافتتاح العيادات الصحيّة في التجمّعات الفلسطينيّة)، وقد وفّرت لهم بعد ذلك فرص عمل. وهم، من جانبهم، لم يشكّكوا قطّ في القيم الإقصائيّة الكامنة في جوهر الصهيويّة. تتجسّد هذه العلاقة غير المتكافئة والمتوتّرة والمنطوية في الكثير من الأحيان على تناقضات، مثلاً، في الترويج لمركز "بني نسيون" [بالعربيّة: أبناء صهيون] في حيفا. يصف هذا المشفى نفسه بأنّه "أول مشفى يهوديّ في حيفا" قدّم الرعاية الصحيّة للمهاجرين اليهود غير الشرعيّين الذين واصلوا الالتفاف على سلطة الموانئ البريطانيّة في إطار الهجرة غير الشرعيّة إلى فلسطين المحتلة، كما يفخر مشفى "بني

12. إحدى الطرق التي تخلق بها إسرائيل وقائع على الأرض، وتُرسّخها، تتمثّل في تحويل ما كان ذات يوم مستوطنة نائية أنشأها مستوطنون متديّنون متطوّرون إلى بلدة تبدو طبيعيّة، مع إمكانية وصول للقطارات، وجامعة يُدرّس فيها طلبة يهود وطلبة من فلسطينيّ العام 48، وتُعقد فيها مؤتمرات دوليّة، وما إلى ذلك. لم تعد تلك المستوطنة بؤرة استيطانيّة صغيرة على قمة تلّ، بل صارت المستوطنة مقبولة كمكان عاديّ ودائم. حصل هذا جليّاً مع أريئيل، التي رفض مجلس التعليم العالي الإسرائيليّ في بداية الأمر الاعتراف بجامعتها لأنّها تقع في مستوطنة في الضفة الغربيّة، لكن المجلس اعترف بالجامعة بعد معركة طويلة. الأمر ذاته ينطبق على المركز الثقافيّ في أريئيل؛ إذ رفض بعض الفئتين الإسرائيليّين في البداية أداء عروضهم هناك، ولكن مع نموّ المستوطنة وانعدام إمكانيّة تمييزها عن البلدات أو المدن الكبيرة كتل أبيب، صار الأمر طبيعيّاً. كانت جامعة أريئيل وكلّيّة الطبّ فيها وجهاً بارزاً من وجوه هذا التطبيع، ولا سيّما نتيجة تنمية العلاقات الدوليّة. لمزيد من المعلومات، في الإمكان مراجعة موقع [بلدّة مستوطنة أريئيل](#).

13. في الغالب، يُعتبر المشروع الاستيطانيّ الأطباء الفلسطينيين، والأطباء المحليّين على وجه العموم، موظّفين مدّيّين محلّصين في فترة الاستعمار للاستزادة:

-Kozma, Liat, & Furas, Yoni. (2020, February). Palestinian doctors under the British mandate: The formation of a profession. *International Journal of Middle East Studies*, 52 (1). Pp. 87–108.

شبيرين صيفلي كتبت عن جدّها الأكبر، وكيف كان الأطباء المجاللون له يُعتبرون "سليّين" وغير سياسيّين، ومُحايين للبيض.

-Seikaly, Sherene. (2019, December). The matter of time. *American Historical Review*, 124 (5). Pp. 1681–1688.

حول الدور المزدوج والغامض للموظّف الأصليّ في أفريقيا المستعمرة، وانتقاد الحكم الاستعماريّ، ومشاركة بعض أفكاره، وإسناده مادّيّاً، انظروا:

-Derrick, Jonathan. (1983). The 'Native Clerk' in colonial West Africa. *African Affairs*, 82 (326). Pp. 61–74.

14. Jabareen, Hassan. (2014). Hobbesian citizenship: How the Palestinians became a minority in Israel. In Will, Kymlicka, and Eva, Pföstl. (Eds.). *Multiculturalism and Minority Rights in the Arab World* (Pp. 189–218). Oxford: Oxford University Press.

15. دائرة الإحصاء المركزيّة. (2019، 31 كانون الأوّل). بيان صحفيّ: على أبواب عام 2020 أكثر من 9.1 مليون مواطن في دولة إسرائيل. [دائرة الإحصاء المركزيّة](#)، بيان 2019/413. (بالعبريّة).

16. Yaron, Lee. (2020, March 17). Arab Israelis fight Coronavirus as first-class doctors but second-class citizens. [Haaretz](#).

17. Tatour, Lana. (2019, Fall). Citizenship as domination: Settler colonialism and the making of Palestinian citizenship in Israel. *Arab Studies Journal*, 27 (2). Pp. 8–39.

تُصيون" بأنه قد "عالج جرحى منظمات الهجانة والإيتصل والليجي، السديّة" -وهي المنظمات المسلّحة التي مارست عمليّات القتل والتهجير القسريّ وسلب الأراضي ضدّ الفلسطينيين خلال الصراع المسلّح في العامّين 1948-1949، وهي الأفعال التي صار توصيفها مجتمعة، اسم النكبة، وما استتبعه ذلك من إقامة دولة إسرائيل.¹⁸ وفي الصفحة نفسها من موقع المشفى على الإنترنت، يفخر "بني تُصيون" بمعالجة "اليهود، والدروز، والمسلمين، والمسيحيّين العرب، والبهائيّين، على حدّ سواء منذ ما يقارب الـ 100 عام".¹⁹

المشفى بوصفه "واحة من الحياد"

إلى جانب روح الفخر الصهيونيّة التي تصدح بها المشافي وصناديق الرعاية الصحيّة الإسرائيليّة، تحتفظ هذه المؤسّسات بحقّ الترويج لنفسها عالمياً بوصفها مساحات مهنيّة محايدة للتعايش اليهوديّ الفلسطينيّ. وعلى العكس من الحال القائم الآن في إسرائيل، حيث تتصاعد وتائر العنصريّة الفجّة،²⁰ تُصوّر المستشفيات بوصفها واحات للتعلّق والمساواة وبعبارها أنموذجاً للحياة المشتركة التي تمكّن الأطباء الفلسطينيين والإسرائيليين من العمل جنباً إلى جنب على مدار الساعة لإنقاذ الأرواح.²¹ وتُقدّم المشافي الإسرائيليّة، مراراً وتكراراً، على أنّها ملتقى سياسيّ وثقافيّ يتمتّع الجميع فيه بالمساواة لأنّ الجميع -من المستوطنين اليهود إلى الناشطين الفلسطينيين- يتلقّون رعاية صحيّة مؤمّمة [غير مخصّصة] هناك.²² لا تُعدّ هذه المشافي مكاناً للحياد الطيّ فحسب، بل للحياد السياسيّ كذلك. بصوّر المشفى على أنّه مكانٌ لقاء حميميّ للجميع، من مقدّم ومتلقيّ العلاج الطيّ، وجسدٌ للسلام مع الفلسطينيين في الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة، بل وما بعد الضفّة وغزّة، أي إلى العالم العربيّ الأوسع.²³ ويجري تكرار هذه الرسائل الإعلاميّة وإعادة إنتاجها في وسائل الإعلام الرئيسيّة والمجلّات العلميّة، وكذلك على مواقع الإنترنت الخاصّة بالمشافي؛²⁴ وغالباً يجري استخدام المشافي ابتغاءً لإظهار صورة تقدّميّة وإنسانيّة لإسرائيل، في إطار مواجهة النقد الموجّه للسياسات الإسرائيليّة، وسياسة "الهسباراه".²⁵

عمليّاً، ظلّت الوظائف في قطاع الخدمات الصحيّة بالنسبة للكثير من فلسطينيّ الـ 48، تمثّل مساراً وظيفيّاً مثاليّاً، وبوابةً للارتقاء الاجتماعيّ والاقتصاديّ والاستقرار، فضلاً عن ضمانها نيل الاعتراف من جانب الدولة والمجتمع بعامة.²⁶ في الإمكان الاطلاع على تعبير شعريّ للتهافت على دراسة الطيّ لدى الفلسطينيين في الداخل في قصيدة علي مواسي "حيفا" التي يقول فيها: "المراهقون الزرق المترنّحة رؤوسهم في حافلات

18. Pappé, Ilan. (2007). *The ethnic cleansing of Palestine*. Oxford: Simon and Schuster.

19. Bnai Zion Medical Center. (n.d.). [Bnai Zion Medical Center's History](#).

20. Rosner, Tal. (2016, December). Heroes of health: Israel's healthcare system as a model of Jewish-Arab coexistence. [Israel Religious Action Center and Israel Movement for Reform and Progressive Judaism](#).

21. Kraft, Dina. (2020, April 21). Meet the Majadlas: An Arab Family of Doctors on Israel's Coronavirus Front Lines. [Haaretz](#).

-Schneider, Phil. (2018, August 15). Israeli and Arab doctors break every stereotype in the Middle East. [Israel Unwired](#).

22. Hendrix, Steve. (2020, April 25). An Arab doctor and an Ultra-Orthodox Jew find common ground in a Covid ward. [Washington Post](#).

23. Skinner, Harvey; Abdeen, Ziad; Abdeen, Hani; Aber, Phil; Al-Masri, Mohammad; Attias, Joseph; Avraham, Karen B. et al. (2005, April). Promoting Arab and Israeli cooperation: peacebuilding through health initiatives. *The Lancet*, 365, (9466). Pp. 1274-1277.

-Skinner, Harvey A., & Sriharan, Abi. (2007). Building cooperation through health initiatives: an Arab and Israeli case study. *Conflict and Health*, 1 (1). Pp. 1-9.

24. Rich, Larry. (2020, June 30). Coexistence through medicine: Emek, coexistence and a beacon of Light. [Hospitals, Clalit](#).

25. Levitt, Joshua. (2014, March 2). AIPAC's Largest-Ever policy conference kicks off in Washington. [The Algemeiner](#).

-Roberts, Chana. (2017, April 10). Your business is national pride. [Israel National News](#).

-Ghermezian, Shiryn. (2019, March 29). New UN exhibit shows Israel's 'Above and Beyond' humanitarian efforts around the world. [Jns](#).

-Horton, Richard. (2014, October 11). Offline: People to people. *The Lancet*, 384 (9951). Pp. 1332.

26. Popper-Giveoni, Ariela, & Keshet, Yael. (2016). "It's every family's dream": Choice of a medical career among the Arab minority in Israel. *Journal of Immigrant and Minority Health*, 18 (5). Pp. 1148-58.

"إيچد" يخرجون كل فجر إلى مصانع العلامات الماركة ليحققوا أحلام القبيلة بدراسة الطب".²⁷ في بعض الأحيان، يُفَضَّل الأطباء الفلسطينيين الذكور على نحوٍ خاص. أذكر على وجه الخصوص ما قاله لي مديري المباشر في القسم، أثناء تدريبي المبكر كطبيب: "العربي [أي الفلسطيني] الذكر المسيحي هو المرشح المفضل. لماذا؟ لأنه كذكر لن يُضطرَّ إلى طلب إجازة حمل، ولأنه كمسيحي لا يصوم شهر رمضان، ولأنه كغير يهودي قادر على العمل في الأعياد اليهودية، والأهم: أنه لن يكون مضطراً للتغيب عن العمل بسبب خدمة الاحتياط العسكرية". كنت وقتذاك صغير السن، وغير مزود بما يكفي من أدوات نقدية لازمة للتفكير في هذا الوضع المعقد. لقد شعرت بالحرَج، ولم أستطع أن أفهم كيف أن اختلافي، الذي يمثل عادةً عنصرًا يحد من فرصتي في التطور المهني، يمكن أن يعاد توسيمه في حالات محدّدة، والاستفادة منه من أجل أن يتناسب مع متطلبات القوة العاملة الأكثر تنوعًا وكفاءة. وبكلمات أخرى، ثمة حاجة إلى شخص ما لكي يحافظ على استمرار عمل النظام حينما تحتاج المجموعة المهيمنة إلى الاحتفال بعطلها، أو عند استدعاء أطبائها للخدمة العسكرية الاحتياطي، أي من أجل شنّ حرب على أبناء شعبي.

فلسطينيو الـ 48 بوصفهم ممثلين لأحد الأسباط الاثني عشر

في المرحلة الواقعة بين ستينيات وثمانينيات القرن الماضي، تعلّم معظم أفراد الموجة الأولى من الأطباء الفلسطينيين (في إسرائيل) في دول شرق أوروبا، وذلك بفضل المنح الدراسية التي كان يوفّرها الحزب الشيوعي الإسرائيلي، الممثل البرلماني الرئيسي لفلسطينيي الـ 48 آنذاك. كانت مثل هذه المبادرات هامة في تعزيز توجّه الحزب المتمثل في توسيع قاعدته الشعبية و "تنقيف وتمكين" المجتمع الفلسطيني على وجه العموم.²⁸ أعقبت الموجة الأولى من الأطباء موجة ثانية ممّن تلقوا دراستهم في الجامعات الإسرائيلية، ومؤخراً في كليات الطب في الأردن وأوروبا. واليوم، بات هنالك عدد متزايد من الأطباء الفلسطينيين الذين يشغلون مناصب رفيعة في القطاع الصحي، من بينهم رؤساء أقسام ومديرو مستشفيات. وحاليًا، يشغل الفلسطينيون من حَمَلَة الجنسية الإسرائيلية ما نسبته 17% من الأطباء، و 24% من الممرضات، و 47% من الصيادلة في إسرائيل. تفتخر إسرائيل رسميًا بهذه المعطيات،²⁹ على الرغم من أنّ 23% فقط من الأطباء الفلسطينيين العاملين حاليًا في إسرائيل قد درسوا الطب في البلاد، مقابل 85% من الأطباء اليهود الإسرائيليين.³⁰ مردّد ذلك إلى أنّ التلاميذ والطلبة الفلسطينيين يجري عزلهم وإقصاؤهم كثيرًا عن المنظومة الأكاديمية، نتاجًا لمعاناة الجهاز التعليمي في المدارس العربية في إسرائيل من منسوبات التسرّب العالية، ناهيك عن انخفاض نتائج هذه المدارس في الامتحانات الرسمية الثانوية [البجروت]، وهذا ما يجعل دخول فلسطينيي الـ 48 إلى سلك التعليم العالي، وكليات الطب، أمرًا بالغ الصعوبة.³¹ إلى جانب ما تقدّم، فإنّ امتحان القبول للمؤسسة الأكاديمية مقتصر على العبرية حصراً، وهذا ما يشكّل عائقًا إضافيًا أمام فلسطينيي الـ 48 في القبول لكليات الطب في إسرائيل.

بعد تهجير غالبية الفلسطينيين من فلسطين الانتدابية عام 1948، واصل المشروع الاستيطاني الكولونيالي

27. مواصي، علي. (2017). **لولا أنّ التفاحة**. عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع. ص 126.

28. خطيب، سمير. (2020، 23 نيسان). الحزب الشيوعي الإسرائيلي ومشروع ابتعاث الطلاب للدراسة الأكاديمية في الدول الاشتراكية **الاتحاد**.

29. على سبيل المثال، الموقع الرسمي لوزارة الخارجية الإسرائيلية يتحدّث عن مستشفى في الجليل الأسفل بوصفه نموذجًا لامعًا للديمقراطية، حيث إنّ 30 من الأطباء الـ 160 الذين يعملون فيه هم من "العرب الإسرائيليين".

-كوستليمان، كارين. (2009، 24 أيار). مستشفى يوريا الإسرائيلي يشكّل مثالاً للديمقراطية العالمية. **وزارة الخارجية الإسرائيلية**.

-Rosner, Tal. Ibid.

-Linder, Ronny. (2017, March31). Israel's medical field: A model for Jewish-Arab equality and coexistence. **Haaretz**.

30. شيمش، عنات؛ روتن، عنات؛ حقلای، نُصيونه؛ جورجی، مورياه؛ وهوريف، طوفيا. (2012، تشرين الأول). الخصائص المهنية للأطباء في إسرائيل. **دائرة الإحصاء المركزية وزارة الصحة**. (بالعبرية).

31. Coursen-Neff, Zama. (2003). Discrimination against Palestinian Arab children in the Israeli education system. **NYUJ Int'l L. & Pol.**, 36 (4). Pp. 749-816.

-Arar, Khalid, & Mustafa, Mohanned. (2011). Access to higher education for Palestinians in Israel. **Education, Business and Society: Contemporary Middle Eastern Issues**, 4 (3). Pp. 207-228.

ممارسة التهجير ضدّ الفلسطينيين داخل إسرائيل على ثلاثة مستويات مختلفة. المستوى الأول مفاهيمي، حيث لا يشار إلى السكّان الأصليين بوصفهم "فلسطينيين" بل بوصفهم "عربًا"، أو أبناء أقليّات، جماعة من البشر، غير متحدّرين من مكان محدّد، ولا ينتمون إلى مكان محدّد. المستوى الثاني يتمثّل بالتهجير عن طريق الاستيعاب، حيث يُمنح الفلسطينيون مكانة "مواطنين عرب إسرائيليين"، مع انعدام تكافؤ الحقوق والفرص. أمّا المستوى الثالث، فهو الترانسفير الذي يمكننا أن نطلق عليه "ترانسفير تعدّد الثقافات"، ويحصل لدى انضمام الفلسطينيين إلى الأمة الإسرائيليّة المتعدّدة الثقافات -شأنهم في ذلك كشأن مهاجرين متحدّرين من جمهوريّات الاتّحاد السوفييتي السابق أو من إثيوبيا، وبالتالي يُنظر إليهم ضمنيًا بوصفهم غير أصلاّنيين.³²

إنّ فلسطينيي الـ 48 هؤلاء الذين ينجحون في الولوج إلى الطبقة الوسطى المهنيّة يمارسون أنماطًا مختلفة من الانضباط غير المباشر (نحو: ممارسة الرقابة الذاتية؛ التمايز؛ الانضباط الممارس ذاتيًا...)، وذلك لكي يُقبلوا في المجتمع الأوسع، ويشمل الأمر فصل هويّتهم المهنيّة عن مسألة كونهم من غير اليهود.³³ برزت هذه الظاهرة في حدّها الأقصى في مطلب طبيب فلسطيني مسؤول يدير أحد المشافي أن يقتصر الحديث في المستشفى الذي يديره باللغة العبريّة، وإن كان الحديث يدور بين زملاء ومرضى عرب.³⁴ يمكن العثور على مثال إضافي آخر في شخصيّة الطبيب الفلسطيني الذي يضئ شعلة الاستقلال الرسميّة في يوم استقلال إسرائيل،³⁵ وهي مفارقة لم تمرّ على الفلسطينيين مرور الكرام؛ وذلك أنّ الطبيب المذكور كان واحدًا من بين اثني عشر شخصًا يشعلون الشعلة في الحفل، ويمثّلون ما يسمّى بالأسباط اليهوديّة المفقودة، وهو تصنيف يُستثنى منه الفلسطينيون بطبيعة الحال، فضلًا عن كون يوم الاستقلال الإسرائيليّ يوم نكبتنا.

من موظّفين في قطاع الصحّة إلى إخوة في السلاح

لقد عُسّرت اللغة الطبيّة الحديثة على نحو عميق. فمصطلحات على غرار "محاربة السرطان"، "الترسانة العلاجيّة"، و "رصاصات سحرية" ليست سوى أمثلة بسيطة على هذه العسكرة. يصبح جسد المريض ميدان معركة يحارب فيه الطبيب المقاتل المرض-العدو.³⁶ وهكذا، يتكاثف الزحف الاصطلاحيّ العسكريّ إلى الحياة اليوميّة على نحو أكبر مع جائحة كوفيد-19.³⁷ فبالإضافة إلى أجساد المرضى، تحوّل الحيز العامّ والمساحات الخاصّة بأكملها إلى ساحة حرب مع الفيروس. تعمل وسائل الإعلام على توصيف مرافق الرعاية الصحيّة بوصفها ساحة معركة جديدة بدلًا من كونها مراكز علاجيّة؛ فيما يُكرّم العاملون في مجال الرعاية الصحيّة باعتبارهم محاربيّن شجاعًا وشرسين عوضًا عن كونهم معالجين، ويُنظر إليهم بوصفهم مكافحين في مهامّ عسكريّة حاسمة لمجابهة المرض بدلًا من علاجهم للمريض. وفي مجتمع هو بالأصل شديد العسكرة، بات من الواضح أنّ ما عُسّرك لا يقتصر على الخطاب وحده؛ إذ إنّ سياسات الدولة الرسميّة تتعقّب المصابين بفيروس كوفيد-19 ومواقع تواجدهم عن طريق هواتفهم الخليويّة باستخدام قواعد البيانات الخاصّة بجهاز الـ "شين بيت" (جهاز الأمن الداخليّ الإسرائيليّ)؛ ومراكز الحجز الصحيّ تُعدّ من قبل الجيش؛ في حين يوقّر جهاز

32. Veracini, Lorenzo. (2010). **Settler colonialism: A theoretical overview**. Hampshire: Palgrave Macmillan.

33. Abu-Rabia-Queder, Sarah. (2017). The biopolitics of declassing Palestinian professional women in a settler-colonial context. **Current Sociology**, 67 (1). Pp. 141–158.

34. عدالة- المركز القانونيّ لحقوق الأقلّيّة العربيّة في إسرائيل. (2014، 11 أيلول). عدالة في رسالة عاجلة إلى إدارة مستشفى نهاريا: "منع الطواقم من التحدّث بالعربيّة غير قانوني". **عدالة**. حيفا.

35. Hadassah International. (2017, May 2). Prof. Ahmed Eid was honored on Israel Independence Day. **Hadassah International**.

36. Fuks, Abraham. (2010). The military metaphors of modern medicine. In Zhenyi, Li, and Thomas, Long. (Eds.). **The Meaning Management Challenge: Making Sense of Health, Illness and Disease** (pp. 57-69). Oxford: Inter-Disciplinary Press.

-Chamness, Sarah. (2017). Ebola the enemy: How the U.S. media militarized the 2014 Ebola epidemic. **Symposium on Undergraduate Research and Creative Expression (SOURCE)**, 657.

37. Kanji, Azeezah. (2020, May 11). War is not a metaphor. **Jadaliyya**.

"الموساد" (وكالة المخابرات الوطنية الإسرائيلية) عُدد اختبار ومعدّات الحماية الشخصية (PPE).³⁸

يتكرّر استخدام مجازات "المحارب" / "أخوة السلاح" بشدّة في السياقات الاستعماريّة وغيرها من السياقات الإقصائيّة؛ إذ إنّها تربط ما بين المحاربين الزملاء من خلال روابط الإخوة، فالمحارب يشارك في التضحية ومجد المعارك المجازيّة في المخيال، والمعارك العسكريّة في الميدان، حيث يمثّل الموت مآل المساواة الأعظم.³⁹ ومهما كانت هذه الأخوة مؤقتة زمنياً، فإنّها تستند إلى روابط قويّة وعدوّ مشترك، إلى جانب التطلّع إلى انبثاق مجتمع جديد، وإلى نهوض إنسان جديد، ينبثق من هذه التوليفة. ومنذ تسليط الأضواء على الجهاز الصحيّ الإسرائيليّ، الذي ينطوي على نسبة كبيرة من الأطباء الفلسطينيين، نتيجة للجائحة، فإنّ فكرة الإخوة في ميدان المعركة قد شكّلت موضوعاً مكرّراً في التغطية الإعلاميّة الإسرائيليّة والدوليّة، حيث تحوّل الأطباء وأعضاء الطواقم الطبيّة من الفلسطينيين إلى جنود رمزيّين في سلاح الطبّ الذي يقاتل على الخطوط الأماميّة في الجبهة.⁴⁰ وقد ركّز بغزارة على تمّظهرات هذه التجربة القوميّة على مساواة وكرامة الفلسطينيين، واحتمالات تسبّبها في إبطال العنصريّة اليهوديّة المناهضة للفلسطينيّين.⁴¹

تدّعي حانا أرندت أنّ مفهوم المجتمع الجديد، الذي ينشأ في الغالب في أعقاب خطر يواجهه المجموع، ليس سوى وهم، وأنّه تضليل للبشر الطيّبين؛ لأنّه لا شيء أكثر عرضة للزوال من هذا النوع من الأخوة التي لا يمكن تحقيقها إلاّ في ظلّ ظروف الخطر المحقّق على الحياة.⁴²

في نيسان من هذا العام (2020)، أطلقت منظمة مجتمع مدنيّ إسرائيليّة تعمل تحت الاسم "هل رأيت الأفق مؤخّراً؟"، أطلقت حملةً مكثّفة تحت العنوان "شركاء في المصير، شركاء في الحكم"، وذلك في سبيل تعزيز المشاركة الفلسطينية في المشهد السياسيّ الإسرائيليّ، وقالت المؤسّسة إنّ "الوسط العربيّ، المعفى من الخدمة العسكريّة بشكل تقليديّ، موجود على الخطوط الأماميّة في معركة بقاء، ويعرّض حياته للخطر، ويحمي الإسرائيليّين جميعاً".⁴³ وعلى الرغم من أنّ مقطع الفيديو الذي أطلقته الحملة قد انتشر انتشار النار في الهشيم على شاشات التلفاز، فإنّه قد تجاهل السائد الاجتماعيّ المرتبط بكمون السيادة اليهوديّة في صميم الصهيونيّة، بل حتّى لم يقارب المطلب الأكثر أساسيّة لفلسطينيّيّ الـ 48 في أن تتحوّل إسرائيل إلى دولة لجميع مواطنيها.⁴⁴ وسرعان ما تبدّدت هذه الحملة حين أعاد الإسرائيليّون انتخاب بنيامين نتياهو لرئاسة

38. Silverstein, Richard. (2020). Israel is militarizing and monetizing the Covid-19 pandemic. *Jacobin Magazine*, 16.

39. للتوسّع بشأن ظاهرة "إخوة السلاح" في سياقات المستوطنين والأصلاحيّين، والسياقات الأخرى المرتبطة بالعرق، راجعوا:

-Ginio, Ruth. (2017). *The French army and its African soldiers: The years of decolonialization*. Lincoln: University of Nebraska Press.

-Cox, Marcus. (2008, October). The African American experience in Vietnam: Brothers in arms (Book review). *The Journal of Military History*, 72 (4). P. 1335.

-Rozenblit, Marsha L. (2001). *Reconstructing a national identity: The Jews of Hasburg Austria during World War I*. Oxford: Oxford University Press. P. 252.

-Winegard, Timothy C. (2009, Autumn). A case study of indigenous brothers in arms during the First World War. *Australian Army Journal*, 6 (1). P. 191.

40. Halevi, Yossi K. (2020, April 30). Israel's Arab moment. *The Atlantic*, (30).

41. Mitnick, Joshua. (2020, April 16). In Israeli war on Coronavirus, Arab doctors rush to the front. *The Christian Science Monitor*, 16.

- من مقابلة مع د. أرسلان أبو مخّ يصف فيها الطبيب الفلسطينيّ مشاعره المرتبكة، بوصفه من جهة عضوًا فخوريًا في الهيئة الطبيّة العربيّة اليهوديّة، ومن جهة أخرى يسمع التعليقات العنصريّة الصادرة عن الساسة الإسرائيليّين على شاشات التلفزيون. ويصف د. أبو مخّ الجهاز الصحيّ بأنّه مثال ممتاز للتعايش الذي يجب على الساسة التعلّم منه.

واينت. (2020، 30 آذار). شركاء في المصير: صرخة الكوادر الطبيّة العربيّة. *ynet*. (بالعبريّة)

42. Arendt, Hannah. (1969, February 27). A special supplement: Reflections on violence. *The New York Review of Books*.

43. شركاء في المصير، شركاء في الحكم. (2020، 31 آذار). *هل رأيت الأفق مؤخّراً؟*. (بالعبريّة)

-Jeffay, Nathan. Ibid.

44. ركّزت العديد من المبادرات في دور فلسطينيّيّ الـ 48 في السياسة والحكم الإسرائيليّين وقضايا الحكم، والمساواة في المواطنة، والهويّة الوطنيّة، والحقوق الوطنيّة، ومفهوم إسرائيل بوصفها دولة لجميع مواطنيها.

-Mada al-Carmel. (2007, May). *The Haifa declaration*. Haifa: Mada al-Carmel.

-Adalah. (2007, March). *The democratic constitution*. Haifa: Adalah.

-Knesset Presidium disqualifies Balad proposal. (2018, June 5). Knesset Presidium disqualifies Balad proposal to legislate "Basic Law: A country of all its citizens", because it rejects Israel's existence as a Jewish state. *Knesset News*.

الحكومة، وبعد أن واصل تنهيهو تشكيل حكومته كأكثر الائتلافات اليمينية اتساعاً في تاريخ الدولة، ومع برنامج تضمن ضمّ أقسام واسعة من الضفة الغربية وغور الأردن، دون أن يجري ضمان سنتيمتر مربع واحد للسياسيين الفلسطينيين على طاولة الحكومة!⁴⁵

وعلى الرغم من كلّ هذا الحبر المسفوح، عبثاً، على مزاعم الأخوة الناشئة حديثاً، والتي تربط سگان إسرائيل اليهود بأقرانهم من الفلسطينيين، فإنها لم تحقّق (ولا يمكنها أن تنجز) أية مكاسب سياسية، ولن يكون بوسعها أن تحقّق المساواة لفلسطينيي الـ 48؛ وفي الواقع، لم يؤدّ الأمر إلا إلى تطبيع عسكرة إسرائيل، إلى جانب فرض هيمنة النظام الاستعماري الاستيطاني وتمظهراته الرمزية. وفي الوقت الذي تسببت فيه اللحظة الزمنية لانتشار الجائحة في استعراض موظفي الطبابة الفلسطينيين والاحتفاء بهم، مع تصويرهم بأنهم أعضاء في "نادي المحاربين" المجازي، فإنّ الحقيقة التي لا شكّ فيها هي أنّ فلسطينيي الـ 48 لا يزالون عرضة للتمييز، والتشكيك، والعنصرية الصريحة، وإلى ضروب من عنف الدولة، في تمظهرات واسعة تتراوح ما بين النقص في تمويل المدارس والمجالس المحلية للبلدات ذات الأغلبية الفلسطينية، ومكائهم غير المتكافئة أمام القانون.⁴⁶ ونظراً لفصل فئة فرعية كاملة من المهنيين الأصليين عن سياقهم الطبيعي وتحويلهم إلى ضيوف مطواعين في الحيز الاستيطاني الأكبر، فإنّ سلسلة كاملة من سياسات الدولة العنصرية وتدخّلاتها لا تزال قائمة.

بعلمنا التاريخ أنّ جميع المستعمرات الاستيطانية قد اصطفت جيلاً متميزاً من السگان الأصليين ليعملوا في مهنة المعطف الأبيض. فتجربة الأطباء الفلسطينيين في إسرائيل اليوم تشبه تجربة نظرائهم الجزائريين إبان حقبة الاستعمار الفرنسي، وتشبه تجربة الأطباء السود في نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا -على سبيل المثال لا الحصر-. يصف فرانز قانون بالتفصيل، في كتابه "استعماراً محتضراً"، كيف كان الطبيب الجزائري في أوقات الاضطهاد الذي لم يجابه بمقاومة، يُعتبر مشابهاً للشرطيّ الأصليّ، سفيراً متأرباً أو متغرباً للمحتلّ، وكان من المتوقع منه أن يظهر تمسكه بالعالم "العقلاني" الذي تكمن فيه مصلحته الاقتصادية،⁴⁷ ويخبرنا قانون بأنّ الطبيب الأصليّ لن يعود للاندماج في المجتمع الجزائريّ إلا في حال تصاعد النضال من أجل التحرير، "بمجرد أن يعود جسد الأمة إلى الحياة مجدداً بطريقة متماسكة وديناميكية".⁴⁸ هكذا نرى، إبان مرحلة الفصل العنصريّ في جنوب أفريقيا، أنّ الأطباء السود الرائدین، حتّى أولئك الذين كانوا ناشطين في إطار شبيبة المؤتمر الوطنيّ الأفريقيّ، الفرع الأكثر راديكاليّة في المؤتمر (ANC) في ذلك الوقت، هم الوجه البرجوازيّ الأكثر اعتدالاً لقيادة حزب المؤتمر الوطنيّ الأفريقيّ. وحينما اشتدّ النضال السياسيّ وتصاعد لهيب الحركة الاحتجاجية، انسحب الكثيرون من بين هؤلاء من الخطوط الأمامية لمعركة مناهضة الأبارتهايد. لقد كان لدى هؤلاء، أثناء أدائهم للطبابة، مداخلٌ منفردة، وعرفٌ انتظار منفصلة، لكلّ من المرضى السود والبيض، بل إنّ بعضهم قد ساندوا نظام البانتستون بناء على الإراغامية السياسية.⁴⁹ وبالمثل، وجد الأطباء الأصليون في إسرائيل أيضاً طريقة للتأقلم، وللتطور، ومراكمة رأسمال اجتماعي

45. Al Jazeera. (2020, May 17). Israel swears in new Gov't as Netanyahu Pledges Annexation Push. [Al-Jazeera](#).

46. Khoury, Azeezah Jack. (2020, May 2). Israeli Arab councils announce strike in protest of 'Discrimination' in Coronavirus funds. [Haaretz](#). -Adalah. (2020, July 4). [Report by Adalah to UN special rapporteurs and independent experts in response to Joint Questionnaire on COVID-19 and human rights](#). Haifa: Adalah.

47. Fanon, Frantz. (1994). **A Dying Colonialism**. New York: Grove Press. Pp. 132–142.

48. Ibid. P.145.

49. ذلك هو الصراع بين الالتزام السياسيّ لدى العديد من الأطباء السود وسعيهم وراء حياتهم المهنية وثروتهم في نظام الفصل العنصريّ في جنوب إفريقيا، حسبما أشار نيلسون مانديلا.

-Digby, Anne. (2005). Early black doctors in South Africa. **Journal of African History**, 46 (3). Pp. 427–454

-Digby, Anny. (2007). From Mahlangeni to Gumedede – The second generation of black doctors in South Africa (1913–1930). **South African Medical Journal**, 97 (6). Pp. 424–429.

واقتصاديّ، والاندماج في المنظومة من خلال إظهار الانقياد حتّى في ظلّ الظروف القاسية المتمثّلة في العنصريّة والعنف الاستعماريّ. تُبَدَّر مسلكيّة هؤلاء بوصفها پراغماتيّة وذكاءً سياسيّاً، وبالطبع نادراً ما يُطعن بالتالي فيها. لا أقصد هنا التعميم، وإنّما أبتغي توضيح حالة عامّة. ثمة نماذج ممتازة أبرزها مسيرة الطبيب حاتم كناعنة واصطدامه مع المؤسّسة الحاكمة ووزارة الصحّة، ممّا أدّى إلى تأسيس جمعيّة الجليل لاحقاً. يحصل الاحتفاء بالعدد المتزايد من العاملين الفلسطينيين في مجال الصحّة، وبالحالة الرفاعيّة الفلسطينيّة الإسرائيليّة في قطاع الصحّة الإسرائيليّ، في وقت يصبح فيه الرأى العامّ اليهوديّ - الإسرائيليّ، وممارسات الدولة، أكثر عنصريّةً وكولونياليّة. ينبغي النظر إلى هذه الزمالة المدّعاة في ضوء قانون القوميّة اليهوديّة الصادر عام 2018، والذي يعلن إسرائيل دولة يهوديّة يقتصر حقّ ممارسة تقدير المصير فيها على الشعب اليهوديّ، ويكون تطوير الاستيطان اليهوديّ قيمة قويّة يجب تعزيزها وتقويتها،⁵⁰ في نفس اللحظة التي تستعدّ فيها الدولة لضّمّ مستوطنات الضفّة الغربيّة.⁵¹

عمليّة الإعدام الميدانيّ السافرة، خارج نطاق القضاء، لشابّ فلسطينيّ على مدخل مشفى بالقرب من تل أبيب على أيدي قوّات الأمن في الـ 13 من أيّار، بعد أيّام قليلة فقط من تلويح الأطباء بالأعلام الإسرائيليّة وأداء التحيّة لأكروبات سلاح الجوّ الإسرائيليّ الذي يخلب الأبواب في السماء المحتلّة، تلك العمليّة وذاك التلويح هما ما يجسّدان، باختصار، روح العصر الحاليّة.⁵²

شكر وعرفان:

يودّ الكاتب أن يشكر كاثرينا كوناريك على مساندها عمومًا، وعلى إسهامها في تحرير هذه المادّة.

50. ترجمة غير رسميّة للقانون باللغة الإنجليزيّة على الموقع الإلكترونيّ للكنيست.

Basic Law: Israel- The nation state of the Jewish people. (2018). [Knesset](#).

51. Sherwood, Harriet. (2020, June 28). Israel's cabinet meets to finalize Annexation Plans. [The Guardian](#).

52. عدالة. (2020، 14 أيّار). إعدام يونس بيد حراس الأمن نتيجة لسياسة التستّر على الإعدامات الميدانيّة وغياب المحاسبة. [عدالة: بيانات صحفية](#). حيفا.



مدي الكرمل

المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية